

إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى (الرِّضَا) ٣٤٢

ما الذي يُرضي الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ؟

الرِّضا: صفةٌ من صفات الله عزَّ وجلَّ الفعليةُ الخبريةُ الثابتة بالكتاب والسنة. الدليل من الكتاب: قوله تعالى: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [المائدة: ١١٩]، وقوله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} [الفتح: ١٨].

الدليل من السنة: حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُخْصِي ثَنَاءً

حُسْنُ الْخَاتِمَةِ مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْعَبْدِ، وَإِلْهَامُ الْعَبْدِ أَنْ يَعْمَلَ صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ مِنَ الْبَشَائِرِ لَهُ وَمِنْ إِرَادَةِ اللَّهِ الْخَيْرَ بِهِ، كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ أَسْتَعْمَلَهُ»، أي: إِذَا أَرَادَ أَنْ يَزِيدَ فِي حَسَنَاتِهِ، فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، فَاسْتَفْسَرَ الصَّحَابَةُ عَنْ مَعْنَى «أَسْتَعْمَلَهُ»، «فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟»، أي: مَا كَيْفِيَّةُ اسْتِعْمَالِهِ الَّتِي سَيُنَالُ بِهَا الْخَيْرِيَّةَ، فَأَجَابَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «يُوقِّعُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ»، أي: يَجْعَلُهُ يَقُومُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَقْبِضُ رُوحَهُ، وَهُوَ يُقِيمُ هَذَا الْعَمَلَ، أَوْ عَقِبَ فِعْلِهِ لَهُ، كَأَنْ يُوقِّعَهُ لِلصَّلَاةِ، وَيَقْبِضُهُ وَهُوَ يُصَلِّي، أَوْ الصِّيَامِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، وَيَقْبِضُهُ وَهُوَ يَفْعَلُهَا أَوْ عَقِبَ فِعْلِهَا.

٣٤٢ في كل ما ثبت لله جل جلاله من الأسماء والصفات؛ فإنَّ ذلك كله لائق برب العالمين جل جلاله، يوصف به على وجه الكمال والجمال والجلال، لا يشبهه في ذلك أحدا من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلق؛ قال تعالى: ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) [الشورى: ١١]، فلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل لصفات الله سبحانه، بل نثبتها كما جاءت في النصوص، ولا يجوز تأويلها عن ظاهرها ولا يجوز تشبيهه الله بخلقه.

انظر: الهامش رقم ٤٠ ص ٥٢.

عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَتَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ" ^{٣٤٣}، وعن أبي هريرة رضي الله عنه:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ
لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ
تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ
السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ". وفي رواية: مثله، غيرَ أَنَّهُ قَالَ: "وَيَسْخَطُ
لَكُمْ ثَلَاثًا"، وَلَمْ يَذْكُرْ: وَلَا تَفَرَّقُوا. ^{٣٤٤}.

٣٤٣ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ٢٢٢ - ٤٨٦.

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَيُكَثِّرُ الدُّعَاءَ وَالتَّضَرُّعَ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ
تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفَرَاشِ»، أَي: إِنَّهَا كَانَتْ لَيْلَتِهَا،
فَاسْتَيْقَظَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمْ تَجِدِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فِرَاشِهِ، «فَالْتَمَسْتُهُ»، أَي: جَعَلْتُ تَطْلُبُهُ بِيَدِهَا
وَتَبَحَّثُ أَيْنَ هُوَ، «فَوَقَعْتُ يَدَيَّ عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ»، أَي: لَمَسْتُ بِيَدِهَا قَدَمَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي حَالِ سُجُودِهِ، وَيَدْعُو وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»، أَي:
أَلْجَأُ وَأَسْتَجِيرُ بِمَا تَرْضَى بِهِ عَنِّي مِمَّا تَسْخَطُ وَتَغْضَبُ بِهِ عَلَيَّ «وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عِقَابِكَ»، أَي: أَلْجَأُ وَأَسْتَجِيرُ
بِمَا تَعْفُو بِهِ عَنِّي مِمَّا يَقَعُ بِهِ عِقَابُكَ مِنْكَ، «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»، أَي: أَلْجَأُ وَأَسْتَجِيرُ بِكُلِّ صِفَةٍ مَرْغُوبٍ فِيهَا مِنْ
صِفَاتِ اللَّهِ، مِنْ كُلِّ صِفَةٍ مَرْهُوبٍ مِنْهَا مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، «لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَتَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»،
أَي: لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُؤْفِكَ الشُّكْرَ وَالْحَمْدَ عَلَى نِعَمِكَ وَأَفْضَالِكَ، وَأَنْتَ يَا رَبِّ، كَمَا أَتَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ، وَهَذَا
اعْتِرَافٌ بِالْعِزِّ عَنْ أَدَاءِ شُكْرِ النِّعَمِ. {وفي الحديث: بَيَانُ هَذِهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاهْتِمَامُهُ بِالْقِيَامِ
وَالصَّلَاةِ لِلَّهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ. وفيه: وَقُوعُ الْغَيْرَةِ بَيْنَ الصَّرَّاءِ؛ حَتَّى عِنْدَ الْفَضْلِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ وَأُمَمَاتِ
الْمُؤْمِنِينَ. وفيه: إِثْبَاتُ صِفَتَيْ الرِّضَا وَالسَّخَطِ لِلَّهِ تَعَالَى؛ وَالِاسْتِعَاذَةُ بِصِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ الصِّفَةَ الْمُسْتَعَاذَ
بِهَا وَالصِّفَةَ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهَا صِفَتَانِ لِمُوصُوفٍ وَاحِدٍ وَرَبِّ وَاحِدٍ، فَالْمُسْتَعِيدُ بِأَحَدِ الصِّفَتَيْنِ مِنَ الْأُخْرَى
مُسْتَعِيدٌ بِالْمُوصُوفِ بِهُمَا مِنْهُ}.

٣٤٤ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ١٧١٥.

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرْضَى لِعِبَادِهِ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ (وَقِيلَ: يَسْخَطُ) لَهُمْ ثَلَاثًا.
فَيَرْضَى لَهُمْ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، لَا شَرْكًَا أَكْبَرَ وَلَا شَرْكًَا أَصْغَرَ. وَأَنْ يَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
يَتَفَرَّقُوا، وَهُوَ التَّمَسُّكُ بِكِتَابِهِ وَالِاتِّبَاعُ لَهُ وَعَدَمُ الْاِخْتِلَافِ. وَيَكْرَهُ لَهُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَهُوَ فَضُولُ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ
الْمُجَالِسُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ: قِيلَ كَذَا، وَقَالَ كَذَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ دَوَاعِي الْكَذِبِ وَعَدَمِ التَّثَبُّتِ وَاعْتِقَادِ غَيْرِ الْحَقِّ،

قال أبو إسماعيل الصابوني: "وكذلك يقولون (أي: الإثبات) في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح؛ من: السمع، والبصر، والعين... والرضا، والسخط، والحياة..."^{٣٤٥}، وقد استشهد شيخ الإسلام ابن تيمية ببعض ما مضى على إثبات صفة الرضا لله تعالى على ما يليق به^{٣٤٦}.

يُعرَّف الرضا لغةً بقبول الشيء بسرورٍ وغبطةٍ، والاطمئنان له، وعدم الشعور بالمشقة تجاهه، أمَّا اصطلاحاً: {رضا الله سبحانه وتعالى عن العبد: هو الحصول على محبة الله لعبده وقبوله لفعله^{٣٤٧}، بالإضافة إلى الأجر والثواب العظيم منه سبحانه وتعالى، ودخول الجنة بفضلِهِ، ونيل رضوانه، وهو أعلى ثواب ممكن أن يناله المسلم^{٣٤٨}، بحيث يرى الله عبده مُطيعاً لأمره ونهيه، ويفعل كل ما أمره الله به، وينتهي عن كل ما نهاه الله عنه^{٣٤٩}}، و{رضا العبد عن الله تعالى: وهو قبول العبد لقضاء الله تعالى وعدم السخط والاعتراض عليه^{٣٥٠}}.

ومن أسباب وقوع الفتن وتناثر القلوب، ومن الاشتغال بالأمور الصّارة عن الأمور النّافعة، وقَلَّ أن يَسْلَمَ أحدٌ من شيء من ذلك. وكثرة السُّؤال للنّاس أموالهم، أو المسائل العلميّة التي لا حاجةَ إليها ولا تعني الإنسان. وإضاعة المال، أي: إنفاقه فيما لا يحلّ والإسراف فيه، أو بترك حفظه حتى يضيع. {في الحديث: إثبات الرضا لله عزّ وجلّ كما يليقُ به. وفيه: إثبات الكُره لله عزّ وجلّ كما يليقُ به. وفيه: إثبات السّخط لله عزّ وجلّ كما يليقُ به. وفيه: الحثُّ على الجماعة، والأمرُ بلزومها. وفيه: تركُ الخَوْصِ في أخبارِ النّاسِ وتتبُّعِ أحوالهم وحكايةِ أقوالهم وأفعالهم. وفيه: الحثُّ على الحفاظِ على المالِ وعدم الإسرافِ فيه}.

٣٤٥ عقيدة السلف أصحاب الحديث؛ أبو إسماعيل الصابوني: ص: ٥.

٣٤٦ العقيدة الواسطية؛ ص ١٠٨، والتدمرية؛ ص ٢٦.

٣٤٧ خالد المصلح، شرح لمعة الاعتقاد، صفحة ١٨، جزء ٣. بتصرّف.

٣٤٨ موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة؛ مجموعة من المؤلفين، مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، صفحة ٣١٥. بتصرّف.

٣٤٩ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز؛ مجد الدين الفيروزآبادي، القاهرة (١٩٩٦): المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، صفحة ٧٧، جزء ٣. بتصرّف.

٣٥٠ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز؛ مجد الدين الفيروزآبادي، القاهرة (١٩٩٦): المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، صفحة ٧٧، جزء ٣. بتصرّف.

والله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَرْضَى متى شاء وليس لذلك حصر، فتعالى وتبارك الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ أن يحيط أحد بمعرفته {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [سورة طه: ١١٠]، سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [سورة الرحمن: ٢٩]، ورضا الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ هو الغاية الأسمى لكلِّ مسلم يسعى للوصول إليها، وقد وردت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة الصحيحة تدل على بعض هذه الأسباب والأعمال والمواطن الجالبة لرضا الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ والعلامات الدالة على ذلك؛ ومنها:

١. الْمُؤْتِنُ الْأَوَّلُ: "الاستجابة لله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ وعبادته، وعدم الشرك به،

والاعتصام بحبله، والاستجابة للرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه":

الطالبون لرضى الله تعالى يستجيبون له ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى قدر الاستجابة تكون الحياة، فكما زاد العبد في طاعة الله وتنفيذ أوامره زاده الله سبحانه وتعالى هدىً وتوفيقاً، كما أَنَّ الاستجابة سبب لرضى الله واستجابة الدعاء، وجزاء المستجيب الجنة، وهي من كمال العقل، قال الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ: {وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ} [سورة آل عمران: ١٧٤]، قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "أي: اتبعوا ما يرضي الله عزَّ وجلَّ، وذلك بالاستجابة لله ولرسوله، فَإِنَّ الاستجابة لله ولرسوله سبب رضا الله عزَّ وجلَّ"، والله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ يَرْضَى لعباده ثلاثاً: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، لَا شِرْكَاً أَكْبَرَ وَلَا شِرْكَاً أَصْغَرَ، وَأَنْ يَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا يَتَفَرَّقُوا، وهو التمسُّكُ بكتابهِ والاتباع له وَعَدَمُ الاختلاف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثاً، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ"، وفي رواية: مِثْلُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: "وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثاً"، وَلَمْ يَذْكُرْ: وَلَا

تَفَرَّقُوا. ٣٥١، وورد عند الإمام أحمد بزيادة: "وَأَنْ تَنْصَحُوا لِمَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ" ٣٥٢، ففي هذا الحديث بيان لما يرضى الله من عباده، وهي ثلاثة أمور؛ عبادة الله وحده لا شريك له، والاعتصام بحبل الله، وألا يتفرق المؤمنون.

٢. المَوْطِنُ الثَّانِي: **"الموالاتة والمعاداة في الله سبحانه وتعالى"**: الله سبحانه وتعالى يرضى عن المؤمنين الذين يُوالون فيه سبحانه ويعادون فيه، كما جاء في قوله عز وجل: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [سورة المجادلة: ٢٢].

٣٥١ حديثٌ صحيحٌ: صحيح مسلم ١٧١٥.

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرْضَى لعباده ثلاثاً، ويكره (وقيل: يَسْخَطُ) لهم ثلاثاً. فيرضى لهم: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، لَا شَرْكَاً أَكْبَرَ وَلَا شَرْكَاً أَصْغَرَ. وَأَنْ يَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا يَتَفَرَّقُوا، وهو التمسُّكُ بكتابه والاتباع له وَعَدَمُ الاختلاف. وَيَكْرَهُ لهم: قِيلَ وَقَالَ، وهو فُضُولُ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ الْمُجَالِسُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ: قِيلَ كَذَا، وَقَالَ كَذَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ دَوَاعِي الكَذِبِ وَعَدَمِ التَّثَبُّتِ واعتقاد غير الحق، ومن أسبابِ وَقُوعِ الْفِتَنِ وَتَنَافُرِ الْقُلُوبِ، ومن الاشتغالِ بِالْأُمُورِ الصَّارَةِ عَنِ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ، وَقَلَّ أَنْ يَسْلَمَ أَحَدٌ مِنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ لِلنَّاسِ أَمْوَالَهُمْ، أَوْ الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا وَلَا تَعْنِي الْإِنْسَانَ. وَإِضَاعَةُ الْمَالِ، أَيْ: إِنْفَاقُهُ فِيمَا لَا يَحِلُّ وَالْإِسْرَافُ فِيهِ، أَوْ بَتْرُكُ حِفْظِهِ حَتَّى يَضِيعَ. فِي الْحَدِيثِ: إِبْثَابُ الرِّضَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا يَلِيقُ بِهِ. وَفِيهِ: إِبْثَابُ الْكُزْرِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا يَلِيقُ بِهِ. وَفِيهِ: إِبْثَابُ السَّخَطِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا يَلِيقُ بِهِ.

وفيه: الحثُّ على الجماعة، والأمرُ بلزومها.

وفيه: تَرْكُ الْخَوْضِ فِي أَخْبَارِ النَّاسِ وَتَتَبُّعِ أَحْوَالِهِمْ وَحِكَايَةِ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ.

وفيه: الحثُّ على الحِفاظِ عَلَى الْمَالِ وَعَدَمِ الْإِسْرَافِ فِيهِ.

٣٥٢ "وَأَنْ تَنْصَحُوا لِمَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً، وَلَا تَفَرَّقُوا، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ." [أخرجه الشيخ شعيب الأرناؤوط، في تخريج المسند ٨٧١٨؛ إسناده صحيح على شرط مسلم].

٣. المَوْطِنُ الثَّالِثُ: "المسارعة في مرضاة الله عَزَّ وَجَلَّ، والالتزام بما أمر به، واجتناب

كُلِّ مَا نَهَى عَنْهُ: قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكَ يَا مُوسَىٰ * قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ

عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ} [طه: ٨٣ - ٨٤]، قال العلامة عبد الرحمن بن

ناصر السعدي رحمه الله: "والذي عجّلني إليك يا رب: الطلب لقربك، والمسارعة في

رضاك"، والمسلم لا ينتهي من طاعةٍ أو عملٍ خيرٍ إلا ويتبعه بغيره من الخير الذي وفقه

الله إليه، قال الله سبحانه وتعالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ

تَقْوَاهُمْ} [سورة محمد: ١٧]، وقال الله سبحانه وتعالى عَزَّ وَجَلَّ: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

وَرِضْوَانًا} [الفتح: ٢٩]، قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: وصفهم

كثرة الصلاة... ومقصودهم بلوغ رضا ربهم، وقال الله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ

الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا} [المائدة: ٢]، قال عبد الله بن عباس رضي

الله عنه: "يترضون الله بحجهم"، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ

أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} [الحشر: ٨]، قال الإمام

البغوي رحمه الله: "أي أخرجوا إلى دار الهجرة طلباً لرضا الله عَزَّ وَجَلَّ"، وقال الله

سبحانه: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} [البقرة: ٢٠٧]، قال

العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "أي يبيع نفسه في طلب رضا الله عَزَّ

وَجَلَّ"، وقال الله سبحانه وتعالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ

مَرْضَاتِ اللَّهِ} [البقرة: ٢٦٥]، والمسلم يبتعد عما يغضب الله، ويتجنب الأعمال

التي لا يرضاها الله، ومنها: الكفر، والابتداع في الدين، والفسق {وهو الخروج

عن طاعة الله وعن طاعة رسوله}، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ

عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} [الزمر: ٧]، قال العلامة محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله: "هل رضي الله من عباده الكفر؟ الجواب: لا، وهل رضي الله لعباده أن يبتدعوا في دينه ما ليس منه؟ الجواب: لا"، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: {فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: ٩٦]، والعبد عندما يقوم بما يرضي الله من الأعمال، فقد يسخط عليه بعض الناس، فعليه ألا يهتم ولا يبالي، فمن أَرْضَى الله رضي الله عنه، وأَرْضَى الناس عنه؛ فعن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من التمس رضا الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه، وأَرْضَى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس" ٣٥٣.

٤. المَوْطِنُ الرَّابِعُ: "الرضا بما يقضي الله من بلاء، مع الإكثار من قول الحمد لله في

٣٥٣ أخرجه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب ٢٢٥٠، وقال عنه: صحيح لغيره؛ أخرجه الترمذي (٢٤١٤) بنحوه، وعبد بن حميد في «المسند» (١٥٢٢)، وابن حبان (٢٧٧) باختلاف يسير. وفي رواية: "من التمس رضا الله بسخط الناس كفاؤه مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس"، [حديث صحيح: صححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ٢٤١٤؛ أخرجه الترمذي (٢٤١٤) واللفظ له، وعبد بن حميد في «المسند» (١٥٢٢) بنحوه، وابن حبان (٢٧٦) باختلاف يسير].

رضا الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَجْلِ مَا يَنْسَعِي إِلَيْهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ حَصِيفٍ، فَمَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ وَأَدْخَلَهُ جَنَّتهُ، وَالْفَائِزُ حَقًّا هُوَ مَنْ فَازَ بِرِضَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وفي هذا الحديث يقول النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ»، أي: أَيُّمَا أَحَدٍ سَعَى فِي الْفَوْزِ بِرِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَلَبَ مَرْضَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَوْ كَلَّفَهُ ذَلِكَ كُزَّةَ النَّاسِ لَهُ وَعَدَمَ رِضَاهُمْ عَنْهُ وَسَخَطَهُمْ عَلَيْهِ، «كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ»، أي: حَفِظَهُ اللَّهُ مِنْ سَخَطِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَكَفَاهُ هَمَّ ذَلِكَ، «وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ»، أي: وَأَيُّمَا أَحَدٍ سَعَى فِي الْفَوْزِ بِرِضَا النَّاسِ، وَنِيلَ مَرْضَاتِهِمْ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَعَدَمِ الْمُبَالَاةِ بِمَا أَمَرَ وَمَا نَهَى، وَعَدَمِ الْإِحْتِرَازِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، «وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»، أي: تَرَكَ أَمْرَهُ إِلَى النَّاسِ، وَسَلَّطَهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرْضَوْهُ وَلَمْ يَرْضَوْا عَنْهُ، وَسَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَمَنْ أَرْضَاهُمْ بِسَخَطِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ مُوقِنًا لَا بِوَعْدِهِ وَلَا بِرِزْقِهِ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى ذَلِكَ إِمَّا مِيلًا إِلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ، فَيَتَرَكُ الْقِيَامَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ لِمَا يَرْجُونَهُ مِنْهُمْ، وَإِمَّا ضَعْفُ تَصَدِيقِهِ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ أَهْلَ طَاعَتِهِ مِنَ النَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالثَّوَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. {وفي الحديث: فَضْلُ مَنْ سَعَى فِي نَيْلِ مَرْضَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِكِفَايَتِهِ مُؤْنَةَ النَّاسِ}.

السَّراء والضَّرَاء وعند المصائب، وعدم التسخُّط والاعتراض على قضاء الله وقدره، والشُّعور بالسَّكينة والطمأنينة في النَّفس: قاله عندما يبتلي الإنسان المسلم فهو يُحِبُّه، ويُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ دَعَاءَهُ دَائِمًا، وبقدر ما يصبر العبد ويحمد ربَّه فإنَّ الله سوف يُفَرِّجها عليه ويرزقه من حيث لا يحتسب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»^{٣٥٤}، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةُ غَلامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ» فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ... قَالَ أَنَسٌ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ (أَيِ يَقَارِبُ الْمَوْتَ) بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبَّنَا،

٣٥٤ حديث حسن: حَسَنُهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ ٢٣٩٦.

مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ يَبْتَلِي عِبَادَهُ وَيَخْتَبِرُهُمْ؛ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنَ الْمَطِيعَ الرَّاضِيَ مِنَ الْعَاصِي السَّاخِطِ، وَالْبَلَاءُ يَكُونُ بِالسَّراءِ وَالضَّرَاءِ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ»، أَي: كَمَا كَثُرَ وَزَادَ الْبَلَاءُ زَادَتِ الْحَسَنَاتُ فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ، ثُمَّ بَيَّنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْبَابَ الْبَلَاءِ، وَأَنَّهَا دَلِيلٌ خَيْرٍ، إِنَّ قُوبِلَتْ بِالرِّضَا، فَقَالَ: «وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ»، أَي: اخْتَبَرَهُمْ بِالْخَيْرِ وَالْمَصَائِبِ، «فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا»، أَي: مَنْ قَابَلَ هَذِهِ الْبَلَايَا بِالرِّضَا، فَسَيَرْضَى اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ، وَيَجْزِيهِ الْخَيْرَ وَالْأَجْرَ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى مَسْبُوقٌ بِرِضَا الْعَبْدِ، وَمَحَالٌ أَنْ يَرْضَى الْعَبْدُ عَنِ اللَّهِ إِلَّا بَعْدَ رِضَا اللَّهِ عَنْهُ، كَمَا قَالَ: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [المائدة: ١١٩]، وَمَحَالٌ أَنْ يَحْصَلَ رِضَا اللَّهِ وَلَا يَحْصَلَ رِضَا الْعَبْدِ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً} [الفجر: ٢٧، ٢٨]؛ فَعَنِ اللَّهِ الرِّضَا أَوَّلًا وَأَبَدًا، سَابِقًا وَلاحِقًا. «وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»، أَي: مَنْ قَابَلَ هَذِهِ الْبَلَايَا بِعَدَمِ الرِّضَا؛ مِنْ كُرْهِ لَوْقُوعِهَا وَسَخَطِ، فَإِنَّهُ يُقَابَلُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَلَا يَرْضَى عَنْهُ، وَلَهُ الْعِقَابُ فِي الْآخِرَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَصَائِبَ وَالْعِلَلَ وَالْأَمْرَاضَ كَقَارَاتٍ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَعُقُوبَاتٌ يُحْصِ اللَّهُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا؛ لِيَلْقَوْهُ مُطَهَّرِينَ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ فِي الْآخِرَةِ، وَهِيَ لِأَهْلِ الْعِصْيَانِ كُرُوبٌ وَشَدَائِدٌ وَعَذَابٌ فِي الدُّنْيَا، وَمَعَ عَدَمِ رِضَاهُمْ وَتَسْلِيمِهِمْ لِقَضَاءِ اللَّهِ فَلَا يَكُونُ لَهُمْ أَجْرٌ فِي الْآخِرَةِ. {وَفِي الْحَدِيثِ: الْحُثُّ عَلَى الصَّبْرِ وَالرِّضَا إِذَا وَقَعَ الْبَلَاءُ}.

إِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ" ٣٥٥.

٣٥٥ حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ أخرجه أبو داود (٣١٢٦)؛ أخرجه البخاري (١٣٠٣) بنحوه، ومسلم ٦٢ - ٢٣١٥، وأحمد (١٣٠١٤) باختلاف يسير، وأبو داود (٣١٢٦) واللفظ له. وفي رواية: {دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيِّفِ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظَنًّا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذَرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: "يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ"، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ" [حديثٌ صحيحٌ: متفق عليه؛ صحيح البخاري ١٣٠٣؛ أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم ٦٢ - ٢٣١٥].

البكاء على المصيبة غريزة إنسانية لا يأتى عليها المرء، طالما أنه لم يتخلل ذلك سخطٌ أو نوحٌ أو عدمٌ رضا بقضاء الله وقدره. وهذه الرواية جزءٌ من حديثٍ طويلٍ - كما في صحيح مسلم - وفيه يحكي أنس رضي الله عنه قصة وفاة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية، وهي أم ولده وليست زوجته، فيقول: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ سَأَلَ الْحَدِيثَ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَحْكِي أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِصَّةَ وَفَاةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَارِيَةِ الْقِبْطِيَّةِ، وَكَانَ مَوْلَدُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَتَوَفَّى فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ وَهُوَ فِي مَرَحَلَةِ الرِّضَاعِ، فيقول أنس رضي الله عنه: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيِّفِ الْقَيْنِ، أَي: الْحَدَّادِ، وَاسْمُهُ: الْبَرَاءُ بْنُ أَوْسٍ، وَكَانَ ظَنًّا لِإِبْرَاهِيمَ وَأَبَا لَهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ؛ لِأَنَّ زَوْجَتَهُ حَوْلَةً بِنْتُ الْمُنْذِرِ قَدْ أَرْضَعَتْ إِبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالظَّنُّ هِيَ الْحَاضِنُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ. قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ، وَإِبْرَاهِيمُ فِي حَالِ التَّرَجُّعِ عَلَى وَشِكِّ أَنْ تَفِيضَ رُوحُهُ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذَرِفَانِ الدَّمْعَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَصْبِرُونَ عِنْدَ الْمَصَائِبِ وَيَتَفَجَّعُونَ، وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَفْعَلُ كِفْعَلِهِمْ مَعَ حَتِّكَ عَلَى الصَّبْرِ وَنَهْيِكَ عَنِ الْجَزَعِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ، أَي: رِقَّةٌ فِي الْقَلْبِ، تَجِيئُ فِي النَّفْسِ عِنْدَ فِرَاقِ الْأَحَبَّةِ، فَتَبْعَثُ عَلَى حُزْنِ الْقَلْبِ، وَبُكَاءِ الْعَيْنِ، وَهِيَ غَرِيزَةٌ لَا يُلَامُ عَلَيْهَا، وَلَيْسَتْ مِنَ الْجَزَعِ فِي شَيْءٍ، ثُمَّ أَتْبَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّمْعَةَ الْأُولَى بِالدَّمْعَةِ الثَّانِيَةِ، أَوْ أَتْبَعَ الْكَلِمَةَ الْأُولَى بِكَلِمَةٍ أُخْرَى، فَقَالَ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ» بِمَقْتَضَى الْغَرِيزَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا خَلْقَهُ، «وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضَى رَبُّنَا»؛ مِنْ الْحَمْدِ وَالِاسْتِرْجَاعِ، وَسُؤَالِ الْخَلْفِ الصَّالِحِ، كَقَوْلِهِ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْنِي خَيْرًا مِنْهَا، «وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ» وَلَيْسَ الْحُزْنُ مِنْ فِعْلِنَا، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ أَوْدَعَهُ اللَّهُ فِينَا، وَأَوْقَعَهُ فِي قَلْبِنَا،

٥. الْمُوطِنُ الْخَامِسُ: "شكر الله وحده": الله سبحانه وتعالى يرضى عن المؤمنين

الشاكرين الذين يشكرون نعمه، فالشكر شطر الدين، وسبب لدفع النقم وحصول النعم، ويعرف الشكر بأنه المجازاة على ما يتحصل للعبد من إحسان، فيشكر بالثناء على المحسن، وبالإقرار باللسان، وباستعمال ما أُعطي من نعمة في رضى الله وطاعته، قال تعالى: {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [سورة الزمر: ٧]، قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "الشاكر ينال رضا ربه"، وللشكر أركان ثلاثة هي:

- شهادة القلب بأن النعمة إنما هي من الله تعالى، مع محبته والخضوع له.
- شكر الله بالثناء عليه باللسان ونسب الفضل إليه.
- استعمال هذه النعمة في طاعة الله وليس في سخطه.

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن أحد الأمور التي يستطيع المسلم أن يحظى فيها برضا الله سبحانه وتعالى عز وجل بأن يقول الحمد لله عندما ينتهي من الأكل، ويقول الحمد لله عندما ينتهي من الشرب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا"^{٣٥٦}، بل جاء في الحديث: بأن يغفر

فلا نلأم عليه إلا إذا قلنا أو فعلنا ما لا يرضي ربنا. {وفي الحديث: أن المؤمن لا يقول عند المصيبة ولا يفعل إلا ما يرضي الله عز وجل. وفيه: تقبيل الولد وشمه. وفيه: مشروعية البكاء برحمة على الميت، مع عدم الاعتراض على قضاء الله تعالى}.

٣٥٦ حديث صحيح: صحيح مسلم ٢٧٣٤.

رضا الله عز وجل غاية كل مسلم، وسعي الإنسان في طاعة الله واتباع رسوله يكون سبباً لنيل محبة الله ورضاه. وفي هذا الحديث يبين النبي صلى الله عليه وسلم أحد الأمور التي يستطيع المسلم أن يحظى فيها برضا الله، وهي قوله صلى الله عليه وسلم: إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة، وهي المرة الواحدة من الأكل كالغداء والعشاء، فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها، فالرضا منه تعالى يتسبب عن حمده المتسبب عن الأكلة والشربة، سبحانه ما أكرمه أعطى المأكول وأقدر على أكله وجعله سائغاً وساقه إلى عبده، وأوجده من العدم ثم أقدره على حمده، وألهمه قوله وعلمه النطق به، ثم كان سبباً لرضائه، وهذا دليل على أن رضا الله

الله له ما تقدّم من ذنبه، فعن معاذ بن أنس رضي الله عنه: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ لَبَسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ" ٣٥٧.

٦. الْمُوَطَّنُ السَّادِسُ: "الدَّعَاءُ": الطالبون لرضى الله تعالى يسألونه أن يوفقهم ويهديهم إلى الأعمال الصالحة التي تُرضيه عنهم، ويسارعون كذلك في مرضاته، وطلب قربه، وغاية أعمالهم الصالحة وقصدها هي طلب رضا الله سبحانه، قال الله سبحانه وتعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي

عَزَّ وَجَلَّ قَدْ يُنَالُ بِأَذْنِ سَبَبٍ؛ فَإِنَّهُ يُنَالُ بِهَذَا السَّبَبِ الْيَسِيرِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ؛ يَرْضَى اللَّهُ عَنِ الْإِنْسَانِ إِذَا انْتَهَى مِنَ الْأَكْلِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِذَا انْتَهَى مِنَ الشُّرْبِ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ.

٣٥٧ حديث حسن: حَسَنَةُ الشَّيْخِ الْأَلْبَانِيِّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ ٦٠٨٦؛ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٠٢٣) بِاخْتِلَافٍ يَسِيرٍ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٤٥٨)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٢٨٥)، وَأَحْمَدُ (١٥٦٣٢) مُخْتَصَرًا. وَفِي رِوَايَةٍ: {مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ لَبَسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا [الثَّوْبَ] وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ". [حَدِيثٌ حَسَنٌ: حَسَنَةُ الشَّيْخِ الْأَلْبَانِيِّ فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ ٤٠٢٣؛ حَسَنٌ دُونَ زِيَادَةٍ: "وَمَا تَأَخَّرَ" فِي الْمَوْضِعَيْنِ]}.

يَنْبَغِي عَلَى الْعَبْدِ حَمْدُ اللَّهِ وَشُكْرُهُ عَلَى نِعَمِهِ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَلْبَسٍ بَابُ لِيُغْفَرَ الذُّنُوبَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ»، أَي: بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْهُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ»، أَي: لَوْلَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَيَسَّرَ لِي هَذَا الطَّعَامُ، وَلَوْلَا اللَّهُ مَا كُنْتُ أَقْدِرُ عَلَى أَكْلِهِ، «غُفِرَ لَهُ»، أَي: مَحَا اللَّهُ، «مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، أَي: مَا سَبَقَ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالْخَطَايَا، «وَمَنْ لَبَسَ ثَوْبًا فَقَالَ»، أَي: بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ لُبْسِهِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ»، أَي: لَوْلَا اللَّهُ مَا كَانَ لِي هَذَا الثَّوْبُ، وَلَوْلَا اللَّهُ مَا كُنْتُ أَقْدِرُ عَلَى لُبْسِهِ، "غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"، أَي: مَحَا اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ الَّتِي سَبَقَتْ.

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} [الأحقاف: ١٥]، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: {فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} [النمل: ١٩]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي عملاً تحبه وترضاه.

٧. الْمُوطِنُ السَّابِعُ: "محبة النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنهم

والتََّرْضَى عنهم واقتفاء أثرهم: إِنَّ محبة النبي صلى الله عليه وسلم فرض على كل مسلم، على أن يكون هذا الحب خالصاً وصادقاً ومقروناً بالإتباع، قال الله سبحانه وتعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [سورة آل عمران: ٣١]، كما أَنَّ حبَّ الصحابة رضوان الله عليهم وسيلة يتقرب بها العبد من الله تعالى، ويحبهم المسلم لما لهم من فضائل وتضحيات بالمال والنفس والجهد، فهم أهل الإيمان الحق، والسير على نهجهم سبب لتحصيل رضا الله ودخول جنته، وهو دلالة على سلامة منهج الصحابة، وثباتهم على الإيمان، فمن تبعهم فله نصيب من جزائهم. قال الله سبحانه وتعالى عَزَّ وَجَلَّ: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ١٨]، وقال الله سبحانه وتعالى عَزَّ وَجَلَّ: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، فإيا ويل من أبغضهم أو سبَّهم أو أبغض أو سبَّ بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم؛ أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه. وأما أهل السنة، فإنهم يترضون عَمَّنْ رضي الله عنه، ويسبُّون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي

الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدرون، وهؤلاء هم حزب الله المفلحون، وعباده المؤمنون"، وأهل السنة يقتفون أثر من رضي الله عنهم؛ ومنهم (المؤمنون الذين يعملون الصالحات، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} [البينة: ٧ - ٨])، ومنهم (المهاجرون والمجاهدون في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ} [التوبة: ٢٠ - ٢١])، ومنهم (الصادقون في قصدهم وفي أفعالهم وفي أقوالهم، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [المائدة: ١١٩])، ومنهم (المتقون، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ أُوتِيتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: ١٥]).

٨. المَوْطِنُ الثَّامِنُ: **"رَضَى الرَّبُّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهِمَا"**: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رَضِيَ الرَّبُّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ" ^{٣٥٨}، وفي رواية: "رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهِمَا" ^{٣٥٩}، ف"رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ" وَكَذَا حُكْمُ الْوَالِدَةِ

٣٥٨ حديث حسن: حَسَنُهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ ٥١٦، أخرجه الترمذي (١٨٩٩)، والحاكم (٧٢٤٩) واللفظ لهما، وابن حبان (٤٢٩) باختلاف يسير.

٣٥٩ حديث حسن: حَسَنُهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ ٣٥٠٧؛ صحيح [صححه الشيخ ثم تراجع وحسنه، "السلسلة الصحيحة" رقم: ٥١٦]، أخرجه الترمذي (١٨٩٩)، وابن حبان (٤٢٩)، والحاكم (٧٢٤٩) باختلاف يسير.

بَلْ هُوَ أُولَى، وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِلَفْظٍ: (رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهِمَا)^{٣٦٠}، وقال المناوي في "فيض القدير": ("رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد"، لأنه تعالى أمر أن يطاع الأب ويكرم فمن امتثل أمر الله فقد برَّ الله وأكرمه وعظمه فرضي عنه ومن خالف أمره غضب عليه، وهذا ما لم يكن الوالد فيما يرومه خارجاً عن سبيل المتقين، وإلا فرضى الرب في هذه الحالة في مخالفته، وهذا وعيد شديد يفيد أن العقوق كبيرة، وقد تظاهرت على ذلك النصوص)^{٣٦١}.

٩. المَوْطِنُ التَّاسِعُ: **"الإيمان والتقوى والاستقامة على دين الله"**: "فمن استقام على دين الله وحافظ على ما أوجب الله عليه وترك ما حرم الله عليه عن إخلاص وعن صدق فذلك من علامات أن الله قد رضي عنه؛ لأنه سبحانه يرضى عن المؤمنين ويرضى عن المتقين، فمن استقام على أمر الله وحافظ على حدود الله وابتعد عن معاصي الله فذلك من علامات أن الله جل وعلا قد رضي عنه وأحبه، متى كان مخلصاً لله صادقاً في ذلك"^{٣٦٢}.

١٠. المَوْطِنُ العَاشِرُ: **"مَوَاطِنُ أُخْرَى"**: بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العبد يتوصل إلى رضا الله بقيامه بأعمال كثيرة؛ فمن ذلك:

- **الصيام ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى عز وجل**: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصَّيَّامَ؛ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصَّيَّامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَزُفْتُ وَلَا يَصْخَبُ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي أَمْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرَحٌ، وَإِذَا

٣٦٠ "تحفة الأحوذى" بتصرف .

٣٦١ فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوي - ج ٤ - الصفحة ٤٤.

٣٦٢ نور على الدرب: علامات رضا الله عن العبد؛ الشيخ الإمام ابن باز رحمه الله.

لَقِيَ رَبَّهُ فَرَحَ بِصَوْمِهِ" ٣٦٣.

٣٦٣ حديث صحيح: صحيح البخاري ١٩٠٤.

لِلصَّيَامِ فَضَائِلٌ عَظِيمَةٌ، وَكَرَامَةُ اللَّهِ لِلصَّائِمِينَ لَا تَنْقَطِعُ؛ فَإِنَّهُمْ حَرَمُوا أَنْفُسَهُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالشَّهْوَةَ، فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ وَاسِعِ عَطَائِهِ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ»، أَي: فِيهِ حَظٌّ وَمَدْخَلٌ لِإِطْلَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ؛ فَقَدْ يَتَعَجَّلُ بِهِ ثَوَابًا مِنَ النَّاسِ، وَيَحُوزُ بِهِ حَظًّا مِنَ الدُّنْيَا، إِلَّا الصَّيَامَ؛ فَإِنَّهُ خَالِصٌ لِي، لَا يَعْلَمُ ثَوَابَهُ الْمُتَرَتِّبُ عَلَيْهِ غَيْرِي، «وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»، أَي: أَتَوَلَّى جِزَاءَهُ، وَأَنْفَرِدُ بِعِلْمِ مِقْدَارِ ثَوَابِهِ، وَتَضَعِيفِ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ، فَقَدْ أَطْلَعَ عَلَيْهَا بَعْضُ النَّاسِ؛ فَالْأَعْمَالُ قَدْ كُشِفَتْ مَقَادِيرُ ثَوَابِهَا لِلنَّاسِ، وَأَتَمَّا تُضَاعَفُ مِنْ عَشْرَةٍ إِلَى سَبْعِمِئَةٍ، إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، إِلَّا الصَّيَامَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْثِبُ عَلَيْهِ بِغَيْرِ تَقْدِيرٍ، كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»، وَلَمَّا كَانَ ثَوَابُ الصَّيَامِ لَا يُخَصِّصُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، لَمْ يَكِلْهُ تَعَالَى إِلَى مَلَائِكَتِهِ، بَلْ تَوَلَّى جِزَاءَهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى إِذَا تَوَلَّى شَيْئًا بِنَفْسِهِ دَلَّ عَلَى عَظَمِ ذَلِكَ الشَّيْءِ وَخَطَرِ قَدْرِهِ. ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ الصَّيَامَ جُنَّةٌ، يَعْنِي: وَاقِيَةٌ وَحَصْنٌ حَصِينٌ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ فِي الدُّنْيَا، وَمِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ. ثُمَّ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّائِمَ عَنِ الزَّفَثِ، وَهُوَ الْفُحْشُ فِي الْكَلَامِ، وَكَذَا نَهَاهُ عَنِ الصَّخَبِ، وَهُوَ الصِّيَاخُ وَالْخِصَامُ، فَإِنْ شَتَمَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ لَهُ بِلِسَانِهِ: «إِنِّي أَمْرُؤُ صَائِمٌ»؛ لِيَكْفَ خَصْمُهُ عَنْهُ، أَوْ يَسْتَشْعِرَ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ؛ لِيَكْفَ هُوَ عَنْ خَصْمِهِ. وَالْمُرَادُ بِالنَّبِيِّ عَنْ ذَلِكَ تَأْكِيدُهُ حَالَةَ الصَّوْمِ، وَإِلَّا فَغَيْرُ الصَّائِمِ مَنَهًى عَنْ ذَلِكَ أَيْضًا. ثُمَّ أَقْسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ»، أَي: يُقْسِمُ بِاللَّهِ الَّذِي رُوحُهُ بِيَدِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ الْأَنْفُسَ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ يُقْسِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْقَسَمِ، «لِخُلُوفٍ»، أَي: تَغْيِيرِ رَائِحَةِ فَمِ الصَّائِمِ -لِخَلَاءِ مَعِدَتِهِ مِنَ الطَّعَامِ- أَطْيَبُ وَأَرْكَى عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ الَّذِي هُوَ أَطْيَبُ الرِّوَاخِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ رُتْبَةَ الصَّوْمِ عَلَيْهِ عَلَى غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ مَقَامَ الْعِنْدِيَّةِ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ. وَإِنَّمَا كَانَ الْخُلُوفُ أَطْيَبَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ؛ لِأَنَّ الصَّوْمَ مِنْ أَعْمَالِ السِّرِّ الَّتِي بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ عَبْدِهِ، وَلَا يَطْلُعُ عَلَى صِحَّتِهِ غَيْرُهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ رَائِحَةَ صَوْمِهِ تَتَمُّ عَلَيْهِ فِي الْحَشْرِ بَيْنَ النَّاسِ، وَفِي ذَلِكَ إِثْبَاتُ الْكَرَامَةِ وَالثَّنَاءِ الْحُسْنِ لَهُ. ثُمَّ أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ لِلصَّائِمِ الَّذِي قَامَ بِحَقِّقِ الصَّوْمِ، فَأَدَّاهُ بِوَأَجَابَتِهِ وَمُسْتَحَبَّاتِهِ؛ فَرَحَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا فِي الدُّنْيَا، وَالْأُخْرَى فِي الْآخِرَةِ؛ أَمَّا الْأُولَى: فَإِنَّهُ إِذَا أَفْطَرَ فَرَحَ بِفِطْرِهِ، أَي: لِرِزْوَالِ جُوعِهِ وَعَطَشِهِ حَيْثُ أُبِيحَ لَهُ الْفِطْرُ، وَهَذَا الْفَرَحُ الطَّبِيعِيُّ، أَوْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ تَمَّ صَوْمَهُ وَخَاتَمَتْهُ عِبَادَتُهُ. وَفَرَحُ كُلِّ أَحَدٍ بِحَسَبِهِ؛ لِاخْتِلَافِ مَقَامَاتِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ. وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: فَإِنَّهُ إِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرَحَ بِصَوْمِهِ، يَعْنِي أَنَّهُ يَفْرَحُ وَقْتُ لِقَاءِ رَبِّهِ بِنَيْلِ الْجِزَاءِ، أَوْ الْفَوْزِ بِاللِّقَاءِ، أَوْ هُوَ الشَّرُورُ بِقَبُولِ صَوْمِهِ، وَتَرْتُّبِ الْجِزَاءِ

- **ذكر الله سبحانه وتعالى عز وجل؛** فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَمَنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟" قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قَالَ: "ذِكْرُ اللَّهِ" ٣٦٤،

الوافر عليه. والصَّائِمُ الكاملُ صَوْمُهُ هُوَ الَّذِي صَامَتْ جَوَارِحُهُ عَنِ الْآثَامِ، وَلِسَانُهُ عَنِ الْكَذِبِ وَالْفُحْشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَبَطْنُهُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَفَرْجُهُ عَنِ الزَّفَثِ، فَإِنْ تَكَلَّمَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِمَا يَجْرَحُ صَوْمَهُ، وَإِنْ فَعَلَ لَمْ يَفْعَلْ مَا يُفْسِدُ صَوْمَهُ، فَيَخْرُجُ كَلَامُهُ كُلُّهُ نَافِعًا صَالِحًا، وَكَذَلِكَ أَعْمَالُهُ، هَذَا هُوَ الصَّوْمُ الْمَشْرُوعُ، لَا مُجَرَّدُ الْإِمْسَاكِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ فَنَحْنُ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهْلَ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»، وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَه: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ»؛ فَالصَّوْمُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ صَوْمُ الْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ، وَصَوْمُ الْبَطْنِ عَنِ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ، فَكَمَا أَنَّ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ يَقْطَعُهُ وَيُفْسِدُهُ، فَهَكَذَا الْآثَامُ تَقْطَعُ ثَوَابَهُ، وَتُفْسِدُ ثَمَرَتَهُ، فَتُصَيِّرُهُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَصُمْ. {وَفِي الْحَدِيثِ: حَصُّ الصَّائِمِ عَلَى تَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ. وَفِيهِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْيَدِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ. وَفِيهِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ حَيْثُ يَشَاءُ، وَيُكَلِّمُ مَنْ يَشَاءُ بِمَا يَشَاءُ، وَأَنَّ كَلَامَهُ لَيْسَ خَاصًّا بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَفِيهِ: أَنَّ الْعِبَادَاتِ تَتَفَاوَتْ مِنْ حَيْثُ الثَّوَابُ. وَفِيهِ: مَشْرُوعِيَّةُ الْقَسَمِ لِتَأْكِيدِ الْكَلَامِ وَإِنْ كَانَ السَّامِعُ غَيْرَ مُنْكَرٍ. وَفِيهِ: أَنَّ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى وَطَلَبَ رِضَاهُ فِي الدُّنْيَا، فَنَشَأَ مِنْ عَمَلِهِ آثَارٌ مَكْرُوهَةٌ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا مَحْبُوبَةٌ لَهُ تَعَالَى وَطَيِّبَةٌ عِنْدَهُ؛ لَكُونَهَا نَشَأَتْ عَنِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَرْضَاتِهِ}.

٣٦٤ حديث صحيح: صحَّحه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه ٣٠٧٢. وفي رواية: "أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟" قالوا: بلى. قَالَ: "ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى"، قَالَ مَعَاذُ بَنِي جَبَلٍ: مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ. [حديث صحيح: صحَّحه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ٣٣٧٧].

لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ؛ فَهُوَ يُطَمِّنُ الْقَلْبَ، وَيَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ، وَيَمْحُو اللَّهُ تَعَالَى بِهِ السَّيِّئَاتِ، وَقَدْ حَتَّنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِكْثَارِ مِنَ الذِّكْرِ، وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ يَكُونُ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ؛ كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، حَيْثُ يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: "أَلَا"، أَيْ: هَلْ، "أُنبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ"، أَيْ: أَخْبِرْكُمْ وَأُعَلِّمُكُمْ بِأَفْضَلِ أَعْمَالِكُمْ وَأَشْرَفِهَا، "وَأَزْكَاهَا"، أَيْ: أَمَّاها وَأَطْهَرُهَا وَأَنْقَاهَا، عِنْدَ "مَلِكِكُمْ"، الْمَلِكُ بِمَعْنَى الْمَالِكِ، وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَهُوَ الْمَلِكُ وَالْمَالِكُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، "وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ"، أَيْ: مَنْزِلَتِكُمْ فِي الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، "وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقٍ"، أَيْ: التَّصَدُّقِ وَبَذْلِ أَمْوَالِكُمْ مِنْ "الذَّهَبِ"، وَهُوَ الْمَعْدِنُ الْمَعْرُوفُ، "وَالْوَرِقِ"، أَيْ: الْفِصَّةِ، "وَخَيْرٌ

قال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَا شَيْءٌ أُنْجَى"، أَي: أَعْظَمُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَنْجُو بِهَا الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، "مِنْ عَذَابِ اللَّهِ" وَعِقَابِهِ وَسَخَطِهِ وَنَارِهِ، "مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ" تَعَالَى فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَعَلَى جَمِيعِ الْهَيئاتِ، وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَتَكْرُمِهِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ إِدَامَةَ الذِّكْرِ تَنْوُبُ عَنِ التَّطَوُّعَاتِ، وَتَقُومُ مَقَامَهَا، سَوَاءٌ كَانَتْ بَدَنِيَّةً أَوْ مَالِيَّةً، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ صَرِيحًا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَفَلَا أَعَلَّيْكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: تُسَبِّحُونَ وَتُحَمِّدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ، الْحَدِيثُ، فَجَعَلَ الذِّكْرَ عَوَضًا لَهُمْ عَمَّا فَاتَهُمْ مِنَ الْحَجِّ وَالْعَمْرَةِ وَالْجِهَادِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَسْبِقُونَهُمْ بِهَذَا الذِّكْرِ، فَاثْمًا سَمِعَ

لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ" مِنَ الْكُفَّارِ لِلْقِتَالِ، "فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ؟" وَذَلِكَ بَأَنْ تَقْتُلُوهُمْ، "وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟" بَأَنْ يَقْتُلُوكُمْ، وَهَذَا بَيَانٌ لِبَذْلِ النَّفْسِ، "قَالُوا"، أَي: صَحَابَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَاضِرُونَ مَعَهُ: "بَلَى"، أَي: أَخْبَرْنَا بِهَذَا الْعَمَلِ الَّذِي لَهُ هَذَا الثَّوَابُ الْعَظِيمُ، "قَالَ" رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى"، فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ وَعَلَى جَمِيعِ الْهَيئاتِ وَالْحَالَاتِ، "قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ"، ابْنُ عَمْرِو بْنِ أَوْسِ بْنِ عَائِدِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ الْخَزْرَجِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَا شَيْءٌ أُنْجَى"، أَي: أَعْظَمُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَنْجُو بِهَا الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، "مِنْ عَذَابِ اللَّهِ" وَعِقَابِهِ وَسَخَطِهِ وَنَارِهِ، "مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ" تَعَالَى فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَعَلَى جَمِيعِ الْهَيئاتِ. وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَتَكْرُمِهِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ إِدَامَةَ الذِّكْرِ تَنْوُبُ عَنِ التَّطَوُّعَاتِ، وَتَقُومُ مَقَامَهَا، سَوَاءٌ كَانَتْ بَدَنِيَّةً أَوْ مَالِيَّةً، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ صَرِيحًا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَفَلَا أَعَلَّيْكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: تُسَبِّحُونَ وَتُحَمِّدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ، الْحَدِيثُ، فَجَعَلَ الذِّكْرَ عَوَضًا لَهُمْ عَمَّا فَاتَهُمْ مِنَ الْحَجِّ وَالْعَمْرَةِ وَالْجِهَادِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَسْبِقُونَهُمْ بِهَذَا الذِّكْرِ، فَاثْمًا سَمِعَ أَهْلَ الدُّثُورِ بِذَلِكَ عَمِلُوا بِهِ فَجَمَعُوا إِلَى صَدَقَاتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ بِمَالِهِمْ التَّعَبُّدَ بِهَذَا الذِّكْرِ، فَحَازُوا الْفَضِيلَتَيْنِ. {وَفِي الْحَدِيثِ: فَضْلُ الذِّكْرِ وَالْحَثُّ عَلَى الْإِكْثَارِ مِنْهُ، وَتَفَاوُثُ الْأَعْمَالِ فِي الشَّرَفِ. وَفِيهِ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَفَضَّلُ بِالثَّوَابِ الْكَبِيرِ عَلَى الْعَمَلِ الْيَسِيرِ}.

أَهْلُ الدُّثُورِ بِذَلِكَ عَمِلُوا بِهِ فَجَمَعُوا إِلَى صَدَقَاتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ بِمَا لَهُمُ التَّعَبُّدُ بِهَذَا الذِّكْرِ، فَحَازُوا الْفَضِيلَتَيْنِ.

- **الجهاد في سبيل الله؛** فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه عز وجل: "أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي خَرَجَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي، ضَمَنْتُ لَهُ أَنْ أَرْجِعَهُ، إِنْ أَرْجَعْتُهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرِ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَإِنْ قَبِضْتُهُ غَفَرْتُ لَهُ وَرَحِمْتُهُ" ٣٦٥.

٣٦٥ حديث صحيح: صحَّحه الشيخ الألباني في صحيح النسائي ٣١٢٦. وفي رواية: "تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ، أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلَّمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ". [حديث صحيح: متفق عليه: صحيح مسلم ١٠٣ - ١٨٧٦؛ أخرجه البخاري (٣١٢٣)، ومسلم ١٠٣ - ١٨٧٦].

الجهاد في سبيل الله له في الإسلام منزلة عالية؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْأَجْرِ الَّذِي يُفَضَّلُ بِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَضَمَّنَ اللَّهُ"، أَي: أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ، "لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ"، أَي: يُرِيدُ الْغَزْوَ وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَضِدَّ أَعْدَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، "لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي"، أَي: لَا تَكُونُ نِيَّتُهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، "وَإِيمَانًا بِي، وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي"، أَي: وَمُؤْمِنًا بِرُسُلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِمَا أُرْسِلُوا بِهِ بِمَا ذَكَرَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ وَبَيَّنَّتْهُ سُنَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، "فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ"، أَي: كَانَ جَزَاؤُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَذَلِكَ إِنْ قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ، "أَوْ أَرْجَعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرِ أَوْ غَنِيمَةٍ"، أَي: فَإِنْ لَمْ يُقْتَلْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ أَجْرًا عَظِيمًا فِي الْآخِرَةِ، وَرَزَقَهُ الْغَنِيمَةَ فِي الدُّنْيَا، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ"، أَي: يَخْلِفُ النَّبِيُّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ الْأَنْفُسَ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ يُقْسِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْقَسَمِ، "مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، أَي: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ جُرْحٌ أَثْنَاءَ الْقِتَالِ، "إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلَّمَ"، أَي: إِلَّا جَاءَ هَذَا الْجُرْحُ الَّذِي جُرِحَ فِي الدُّنْيَا، "لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ"، أَي: تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ، "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ"، أَي: لَوْلَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- **رضا الله يُدرك بكلمة حسنة يقولها المؤمن لأخيه المؤمن؛** فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ" ^{٣٦٦}، [الحرص على قول كل ما هو طيب وفيه خير].
- **الحرص على استخدام السواك؛** قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "السَّوَاكُ مَطَهْرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ" ^{٣٦٧}.

يَحْشَى الْمَشَقَّةَ وَالتَّعَبَ عَلَى الْمَسَامِينِ، "مَا قَعُدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا"، أَي: مَا تَرَكْتُ غَزْوًا إِلَّا وَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، وَالسَّرِيَّةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْجَيْشِ يَبْلُغُ أَقْصَاهَا أَرْبَعُ مَائَةٍ، "وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ"، أَي: لَيْسَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدَّوَابِّ الَّتِي تَحْمِلُ الْمَسَامِينَ فِي السَّفَرِ، وَتَعْبُرُ بِهِمْ إِلَى الْغَزْوِ، "وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً"، أَي: وَكَذَلِكَ هُمْ لَا يَمْلِكُونَ مِنَ الدَّوَابِّ الَّتِي تُعِينُهُمْ وَتَحْمِلُهُمْ؛ لِيَكُونُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، "وَيُشْقُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي"، أَي: وَيَعُودُ عَجْزُهُمْ عَنِ اللَّحَاقِ بِي بِالْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ، سِوَاءٍ اتَّبَعُوهُ وَسَارُوا مَعَهُ مَشْيًا عَلَى الْأَقْدَامِ، أَوْ قَعَدُوا وَتَخَلَّفُوا عَنْهُ حِينَ يَخْرُجُ، "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَعْزُو فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَعْزُو فَأُقْتَلَ"، أَي: أَنْ يُبْعَثَ فَيُقْتَلَ مَرَّاتٍ مُتَكَرِّرَةً عَدِيدَةً؛ وَكَذَلِكَ لِمَا فِي الْجِهَادِ وَالْغَزْوِ مِنْ عَظِيمِ الْفَضْلِ وَالْأَجْرِ. {وفي الحديث: الحثُّ على الجهاد والخروج في سبيل الله تعالى. وفيه: بيان ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من شَفَقَةٍ وَرَحْمَةٍ بِالْمَسَامِينِ}.

٣٦٦ حديث صحيح: صحيح البخاري ٦٤٧٨.

بَيَّنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَثَرَ الْكَلِمَةِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ أَجْرٍ أَوْ وَزْرِ، حَتَّى إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِمَّا يَرْضَاهُ اللَّهُ وَيُحِبُّهُ، لَا يَلْتَفِتُ لَهَا قَلْبُهُ وَبِالْهِ لِقَلَّةِ شَأْنِهَا عِنْدَهُ؛ يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مِمَّا يَسْخَطُهُ وَيَكْرَهُهُ اللَّهُ وَلَا يَرْضَاهُ، لَا يَلْتَفِتُ بَالَهُ وَقَلْبُهُ لِعِظَمِهَا؛ فَيَهْوِي بِهَا (أَي: يَنْزِلُ وَيَسْقُطُ بِسَبَبِهَا) فِي دَرَكَاتٍ جَهَنَّمَ. {وفي الحديث: أَنَّ مَوْضِعَ الْكَلَامِ هُوَ مَا يُحَدِّدُ أَثَرَهُ الْمُرْتَبِّ عَلَيْهِ، فَقَدْ يَخْرُجُ الْمُسْلِمُ مِنْ إِسْلَامِهِ بِسَبَبِ كَلِمَةٍ، وَقَدْ يَنْصُرُ اللَّهُ الْإِسْلَامَ بِكَلِمَةٍ}.

٣٦٧ حديث صحيح: صحَّحه الشيخ الألباني في صحيح النسائي ٥؛ أخرجه النسائي (٥)، وأبو يعلى (٤٥٦٩)، وابن خزيمة (١٣٥)، وعلقه البخاري في «باب سواك الرطب واليابس للصائم».

لَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّظَافَةِ وَالتَّطَهُّرِ فِي الْبَدَنِ كُلِّهِ؛ حَتَّى جَعَلَ الطُّهُورَ شَطْرَ الْإِيمَانِ. وَفِي

• الموحدون الصادقون {الذين استقامت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم على الصراط

المستقيم والهدي القويم}؛ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ

صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [سورة المائدة: ١١٩]، قال السعدي: "{قَالَ اللَّهُ} مبينا

لحال عبادته يوم القيامة، وَمَنْ الْفَائِزُ مِنْهُمْ وَمَنْ الْهَالِكُ، وَمَنْ الشَّقِيُّ وَمَنْ السَّعِيدُ، {هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ} والصادقون هم الذين استقامت أعمالهم

وأقوالهم ونياتهم على الصراط المستقيم والهدي القويم، فيوم القيامة يجدون ثمرة ذلك الصدق، إذا أحلهم الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ولهذا قال:

{لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} والكاذبون بضدهم، سيجدون ضرر كذبهم وافترائهم،

وثمره أعمالهم الفاسدة"، وقال ابن كثير: "قال الضحاك، عن ابن عباس يقول: يوم ينفع الموحدين توحيدهم. (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها

أبدا) أي: ما كثر في فيها لا يحولون ولا يزولون، رضي الله عنهم ورضوا عنه، كما قال تعالى: (ورضوان من الله أكبر) [التوبة: ٧٢]. وقد روى ابن أبي حاتم هاهنا

هذا الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «السَّوَاكُ»، أي: العود الذي تُدَلِّكُ به الأسنان لتنظيفها، وَيُصْنَعُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَرَاكِ وَغَيْرِهَا، «مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ»، أي: مُنْظَفٌ لِلْفَمِ مِنْ عَوَالِقِ الطَّعَامِ وَرَوَائِجِ الْكَرِيمَةِ، وهذا مِنْ مُتَطَلِّبَاتِ النَّظَافَةِ الَّتِي حَثَّ عَلَيْهَا الشَّارِعُ، «مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»، أي: اسْتِعْمَالُهُ مُرَضٍ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ وَذَلِكَ لِمَا يُسَبِّبُهُ مِنْ طَهَارَةِ الْفَمِ فَيَجْلِبُ رِضَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ الَّذِي يُحِبُّ الطَّهَارَةَ وَالنَّظَافَةَ، وَلَأَنَّ الْإِتْيَانَ بِالْمَأْمُورِ بِهِ مُوجِبٌ لِلثَّوَابِ، وَطِيبُ رَائِحَةِ السَّوَاكِ قَبْلَ الصَّلَاةِ- الَّتِي هِيَ مَنَاجَاةُ الرَّبِّ- يُحِبُّهَا صَاحِبُ الْمَنَاجَاةِ، وَلَعَلَّ الْاِقْتِصَارَ عَلَى ذِكْرِ هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ فَقَطْ مَعَ أَنَّ لِلْسَّوَاكِ فَوَائِدَ أُخَرَ؛ لِأَنَّهُمَا أَفْضَلُهُمَا، أَوْ لِأَنَّهُمَا يَشْمَلَانِ غَيْرَهُمَا؛ فَإِنَّ فَوَائِدَهُ مُنْحَصِرَةٌ فِي تَحْصِيلِ الطَّهَارَةِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَالْحَسِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ فِي الدُّنْيَا، وَفِي تَكْمِيلِ رِضَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. {وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ وَالتَّرْغِيبُ فِي اسْتِعْمَالِ السَّوَاكِ. وَفِيهِ: بَيَانٌ مَا فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ الْقَلِيلَةِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ}.

حديثاً فقال: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا المحاربي، عن ليث، عن عثمان -يعني ابن عمير أبو اليقظان- عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثم يتجلى لهم الرب تعالى فيقول: سلوني سلوني أعظمكم". قال: "فيسألونه الرضا، فيقول: رضاي أحلكم داري، وأنا لكم كرامتي، فسلوني أعظمكم. فيسألونه الرضا"، قال: "فيشهدهم أنه قد رضي عنهم". وقوله: (ذلك الفوز العظيم) أي: هذا هو الفوز الكبير الذي لا أعظم منه، كما قال تعالى: (لمثل هذا فليعمل العاملون) [الصفات: ٦١]، وكما قال: (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) [المطففين: ٢٦].

● **مَنْ خَشِيَ اللَّهَ وَاتَّقَاهُ حَقَّ تَقْوَاهُ؛** قال الله عَزَّ وَجَلَّ: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} [سورة البينة: ٨]، قال السعدي: "{جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ} أي: جنات إقامة، لا ظعن فيها ولا رحيل، ولا طلب لغاية فوقها، {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} فرضي عنهم بما قاموا به من مرضيه، ورضوا عنه، بما أعد لهم من أنواع الكرامات وجزيل المثوبات {ذَلِكَ} الجزء الحسن {لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} أي: لمن خاف الله، فأجزم عن معاصيه، وقام بواجباته"، وقال ابن كثير: (جزاؤهم عند ربهم) أي: يوم القيامة (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) أي: بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ. (رضي الله عنهم ورضوا عنه) مقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم (ورضوا عنه) فيما منحهم من الفضل العميم. وقوله: (ذلك لمن خشي ربه) أي: هذا الجزء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه، وعبدته كأنه يراه، وقد علم أنه إن لم يره فإنه يراه.

● توفيق الله سبحانه وتعالى عزَّ وجلَّ، للعبد ومعاونته على الطاعة والزيادة في فعل الخير، وإلى التوبة، والربط على قلبه في المصائب، وعدم جزعه في

الأهوال، والصبر على الشدائد إذا أصابته أو ألمت به، وحفظ الله له في جوارحه، ومباعدته عن المعصية، ودوام بقائه على الاستقامة؛ فلا يسمع إلا ما يرضي الله، ولا ينظر إلا لما يرضي الله، ولا يمشي إلا لما يرضي الله عنه، ودوام الطمأنينة والسكينة والثقة الدائمة بوعده الله تعالى ونصره وفرجه، وعدم القلق على الرزق، والثقة أنه في ضمان الله تعالى، وأن الله تعالى كافل الرزق له ولن ينتهي أجله حتى يستوفي كل رزق كتب له، والحرص على طلب العلم وتسهيل طريقه أمام العبد المسلم، خاصة العلم الشرعي، ويجعل الله سبحانه وتعالى عز وجل محبة العبد في قلوب الناس، ويكسبه رضا الخلق عنه.

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "إذا التمس العبد رضا الله بنية صادقة رضي الله عنه؛ لأنه أكرم من عبده، وأرضى عنه الناس، وذلك بما يلقي في قلوبهم من الرضا عنه ومحبته؛ لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء" ^{٣٦٨}، ورضا الله أكبر وأجل وأعظم النعيم؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحَلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا" ^{٣٦٩}.

٣٦٨ الشيخ محمد بن صالح العثيمين / كتاب التوحيد: شرح كتاب التوحيد-٣٢.

٣٦٩ حديث صحيح: صحيح البخاري ٦٥٤٩.

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يكلم أهل الجنة، ويقول لهم: «يا أهل الجنة» فيردون عليه قائلين: «لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ»، أي: إجابة بعد إجابة، وإسعاداً بعد إسعاد، فيقول لهم مؤلّاهم: «هل رَضِيتُمْ؟» فيقولون: «وما لنا لا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟!»، أي: بإدخالهم الجنة

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "قوله تعالى: {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ} [آل عمران: ١٥]، هذا من أعظم شيء أن الله سبحانه وتعالى يحلّ عليهم رضاه فلا يسخط عليهم بعده أبداً، كما قال الله تعالى لما عدّد نعيم أهل الجنة: {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} [التوبة: ٧٢]، وأعظم من ذلك النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى كما قال الله تعالى {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦]، فلا ألدّ ولا أمتع ولا أحسن لأهل الجنة من النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، فأعلى شيء هو النظر إلى وجه الله عزّ وجلّ، والرضوان يليه، ثم المتع الجسدية في الجنة تلي هذا" ٣٧٠.

وعلى العبد وجميع أفراد المجتمع أن ينتبهوا إلى: أن النعم إذا جاءتهم وفيرة وهم مقيمون على معاصي الله، فهي ليست دليلاً على رضا الله عنهم؛ وإنما استدراج لهم فلا يغتروا بها، وليعلموا أن هذا إملاء لهم، فقد يعقبها الخوف والجوع؛ قال الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَغْتُمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ} [الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣]، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيت الله يُعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يُحِبُّ فإنما هو استدراج"، ثم تلا [رسول الله صلى الله عليه وسلم]: "{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ

وإنقاذهم من النار، وتنعمهم بما في الجنة من أنواع النعيم، فيقول سبحانه: «أنا أعطيتكم أفضل من ذلك»، قالوا: «يا ربّ، وأي شيء أفضل من ذلك؟» فيقول: «أجلّ عليكم رضواني»، أي: أنزل عليكم رضائي، أي: دوام رضواني؛ فإنه لا يلزم من كثرة العطاء دوام الرضا؛ ولذا قال: «فلا أسخطُ» أي: لا أغضبُ «عليكم بعده أبداً»، وقوله تعالى: «أفضل من ذلك» هو كقوله تعالى: {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ}. وفي الحديث: كلام الله عزّ وجلّ مع أهل الجنة. وفيه: أن النعيم الذي حصل لأهل الجنة لا مزيد عليه.

٣٧٠ تفسير سورة آل عمران للشيخ ابن عثيمين.

مُبْلِسُونَ} [الأنعام: ٤٤]"^{٣٧١}، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ". قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢] ^{٣٧٢}.

٣٧١ إسناده قوي: أخرجه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٤١٣، وفي رواية: "إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُحِبُّ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ؛ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ" [حديث صحيح؛ صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٥٦١].

٣٧٢ حديث صحيح: صحيح البخاري ٤٦٨٦.

لا ينبغي للعبد أَنْ يَغْتَرَّ بِحِلْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ فَقَدْ يَكُونُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْنِ فِي الْمَعْصِيَةِ وَالظُّلْمِ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، إِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، حَتَّى إِذَا سَبَقَ الْكِتَابُ أَخْذَهُ اللَّهُ بِمَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ، فَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُحَذِّرُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّهَادِي فِي الظُّلْمِ، وَيُعَلِّمُنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمْلِي لِلظَّالِمِ، وَيُمْهِّلُ لَهُ حَتَّى يَتِمَادَى فِي ظُلْمِهِ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- فَلَا يُعَالِجُهُ الْعُقُوبَةُ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، أَي: لَمْ يُطْلَقْهُ، وَلَمْ يَنْفَلِتْ مِنْهُ، وَلَا يُخَلِّصْهُ؛ لَكثْرَةِ مَظَالِمِهِ إِنْ كَانَ مُشْرَكًا، أَوْ لَمْ يُخَلِّصْهُ مُدَّةً طَوِيلَةً إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، ثُمَّ قَرَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢]، أَي: وَمِثْلُ ذَلِكَ الْأَخْذِ أَخَذَ اللَّهُ الْأُمَّمَ السَّالِفَةَ فِي حَالِ كَوْنِهَا ظَالِمَةً، وَأَخَذَهُ سَبْحَانَهُ وَجِيعٌ صَعَبٌ عَلَى الْمَأْخُودِ، وَفِي هَذَا تَحْذِيرٌ عَظِيمٌ مِنَ الظُّلْمِ -بِالْكُفْرِ أَوْ بِغَيْرِهِ- لِنَفْسِهِ أَوْ لِغَيْرِهِ، وَتَحْذِيرٌ لِكُلِّ أَهْلِ قَرْيَةٍ ظَالِمَةٍ. {وَفِي الْحَدِيثِ: تَسْلِيَةٌ لِمَظْلُومٍ فِي الْحَالِ، وَوَعِيدٌ لِلظَّالِمِ لئَلَّا يَغْتَرَّ بِالْإِمْهَالِ}.